

الخصائص التربوية في القرآن الكريم من خلال تفسير ابن عاشور

The educational characteristics of the Holy Qur'an through Ibn Ashour

تاريخ النشر: 2023/09/31

تاريخ القبول: 2023/07/21

تاريخ الإرسال: 2023/06/25

مفتاح قاسمي¹Email : meftehesmi3@gmail.com ، جامعة صقاريا، تركيا¹

الملخص:

هدفت الدراسة الى التعرف على الخصائص التربوية في القرآن الكريم من خلال تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير، وذلك من خلال العمل على الإجابة عن إشكالية الدراسة، والتي تتمحور حول تسليط الضوء على الخصائص التربوية في القرآن الكريم في تفسير ابن عاشور وتحليلها. واعتمد الباحث في تحقيق أهداف هذه الدراسة على المنهج التحليلي لدراسة وتحليل الخصائص التربوية في القرآن الكريم في تفسير ابن عاشور. الكلمات المفتاحية: الخصائص التربوية، القرآن الكريم، تفسير، ابن عاشور، التحرير والتنوير.

Abstract:

The study aimed to identify the educational characteristics of the Holy Qur'an through Ibn Ashour's Et- Hahrir anda El-Tanwer. This is done by working to answer the problematic of the study. which revolves around shedding light on the educational characteristics of the Holy Qur'an in Ibn Ashour's interpretation and analysis. In achieving the objectives of this study, the researcher relied on the analytical approach to study and analyze the educational characteristics in the Holy Qur'an in the interpretation of Ibn Ashour.

Keywords: Educational Characteristics, The Holy Quran, Interpretation, Ibn Ashour, Liberation and Enlightenment.

المؤلف المرسل: مفتاح قاسمي ، Email : meftehesmi3@gmail.com

1. مقدمة:

حظي القرآن الكريم بعناية كبرى من قبل العلماء لما له من أهمية في حياة المسلم. فهو يعتبر المعلم والمربي الأول للمسلم لما فيه من خصائص تربوية مهمة تساهم في رقي المجتمع الإسلامي. ويعتبر ابن عاشور من بين العلماء الذين اهتموا بموضوع التربية في القرآن الكريم من خلال تفسيره التحرير والتنوير. فالقرآن فيه كل ما يحتاجه الناس في أمور دينهم ودنياهم لذلك لم يكن كتاب دين فقط، إنما كان كتاب تربية وهذا ما سنبيّنه في هذا المقال من خلال ابراز الخصائص التربوية التي جعلت منه رسالة تربوية فريدة من نوعها ميزته عن بقية الكتب السماوية الأخرى وذلك من خلال تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير.

1.2 إشكالية الدراسة:

سعى الباحث في هذه الدراسة الى تقديم طرح يتعلق بالتربية القرآنية من خلال تفسير ابن عاشور، في ظل ابتعاد المسلمين عن القرآن وتأثرهم بالمجتمع الغربي مما دعا الباحث في الكتابة في هذا الموضوع، وفي هذا السياق فان الإشكالية التي تطرحها الورقة البحثية تتمثل في السؤال التالي:

- ماهي أهم الخصائص التربوية التي تضمنها القرآن الكريم؟

1.3 أسئلة الدراسة:

1. ما حكمة وجود الخصائص التربوية في القرآن الكريم؟
2. كيف تناول ابن عاشور هذه الخصائص التربوية؟

1.4 أهداف الدراسة:

- تهدف هذه الدراسة الى تحقيق الأهداف التالية:
- التعرف على أهم الخصائص التربوية التي تضمنها القرآن الكريم عامة وبصفة خاصة في تفسير ابن عاشور.
 - بيان أهمية التفسير التربوي في القرآن الكريم ومدى تأثيره على حياة المسلم بجميع مستوياتها.



1.5 أهمية الدراسة:

- تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها أنها تعالج قضية مهمة وخاصة في عصرنا الحاضر، كما أنها تساهم في تماسك المجتمع المسلم كما تساهم في رقيه وتقدمه. وفي هذا السياق تنبع أهمية الدراسة في النقاط التالية:
- حاجة المسلمين إلى وجود خصائص تربوية تساعد في تربية الأبناء وتكوين جيل مسلم يؤمن بالقيم الإسلامية.
 - تكمن أهمية هذا البحث أيضا في عرضه لموضوع تربوي هو الخصائص التربوية للقران الكريم الذي يكاد يكون منعدم في البحوث التي كتبت.
 - التأكيد على الاستفادة من المصادر التربوية عامة والمصادر التربوية لابن عاشور خاصة والالتزام بما ورد فيها من قيم تربوية.

1.6 منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في كتابة هذا البحث على المنهج التحليلي معتمدا على ذلك الدراسات والأبحاث العلمية التي لها علاقة بمشكلة هذا البحث، ثم التحليل لكل محتوياتها من أجل الوصول لبعض الاستنتاجات التي نستشفها من أسئلة البحث.

1.7 الدراسات السابقة:

اعتمد الباحث على بعض الدراسات العلمية التي لها علاقة بموضوع هذه الدراسة، من بين هذه الدراسات:

دراسة رقم (1). التكواري، ناجي فرج: "ملامح الإصلاح التربوي في تفسير ابن عاشور". تهدف هذه الدراسة الى رسم طرق الإصلاح التربوي في القرآن الكريم بالنسبة للفرد والمجتمع في ضوء القواعد التربوية التي رسمها ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير والتي تتمثل أساسا في القيم الأخلاقية وتنميتها من خلال ربطها بالعقيدة الإسلامية والعبادات والمعاملات. ومن بين أهم النتائج التي توصل اليها الباحث ان ابن عاشور يرمي



الى استنباط منهج تربوي متكامل يسعى فيه الى بناء الانسان الصالح والأمة الصالحة وهذا هو الهدف الأكبر الذي من أجله جاءت الشريعة.

دراسة رقم (2). د. شرعي، حمزة (2022). "ملامح المنهج التربوي عند الشيخ الطاهر ابن عاشور في تجاوز القصور"

يهدف هذا البحث على الوقوف على أبرز المرتكزات التي بنى عليها ابن عاشور منهجه التربوي والتي تعكس رؤيته الإصلاحية للشأن التربوي، وذلك من خلال الوقوف على أهم كتاباته التي كتبها في المواضيع التربوية والتي بين فيها من خلالها كيفية تحقيق مقاصد التعليم في العصر الراهن ودوره في ترسيخ لقيم الايمان وتطوير مهارات الانسان في التفكير. وقد خلصت هذه الدراسة الى بعض النقاط لعل أهمها أن التربية عند ابن عاشور تقوم على رؤية مقاصدية قيمية توجي عن وعيه العميق بطبيعة الإشكاليات التي يعيشها القطاع التربوي الإسلامي عموما والتونسي الزيتوني خصوصا.

1.8 التعقيب على الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة التي تطرقنا اليها نتائجها كانت متشابهة مع النتائج التي توصل اليها الباحث في هذه الدراسة، وخاصة أن الدراسات كانت كلها متعلقة بموضوع التربية وعند ابن عاشور، وهذا ما جعل الباحث حريصا على أن تكون هذه الدراسة كتكملة ومواصلة للبحوث السابقة التي لها علاقة بموضوع التربية، أيضا أن الدراسة الحالية تتشابه مع الدراسات السابقة التي ذكرناها في المنهج المستخدم وهو المنهج التحليلي. أما أوجه الاختلاف بين دراسة الباحث والدراسات السابقة فقد اقتضت الدراسة التي بين أيدينا على الخصائص التربوية في القرآن الكريم والتي تعتبر بالنسبة للباحث هي الأولى التي تحاول دراسة خصائص القرآن التربوية.

2. الخصائص التربوية في القرآن الكريم:

يعتبر تفسير ابن عاشور من أبرز التفاسير في العصر الحديث، حيث تطرق تقريبا إلى جميع المواضيع المتعلقة بالعلوم الشرعية التي تنفع المسلم ولا شك منها موضوع الخصائص التربوية في كتاب القرآن الذي هو موضوع هذه الدراسة.

ويعتبر ابن عاشور أن الخصائص التربوية التي يحتوي عليها القرآن الكريم هو المنهج الصحيح الذي ينبغي على كل مسلم أن يسير عليه باعتباره هو الطريق الذي يساعده على تحقيق أهدافه التي تتمثل في تنمية مواهبه وقدراته الشخصية. فابن عاشور ومن خلال تفسيره يرمي إلى تكوين أرقى أصناف الناس ويغرس فيها حب المعرفة (ابن عاشور، 2010، ص 54)

فابن عاشور وفي أثناء تفسيره لآيات القرآن كان يحاول انشاء منهجاً تربوياً يتمشى والأسس التربوية المعاصرة. بل ان ابن عاشور يعتبر أن الخصائص التربوية التي يحتويها القرآن يساهم في تجديد واقع الأمة الإسلامية وينقلها من الموت إلى الحياة ومن الفوضى إلى النظام وهي النتيجة المطلوبة من هذه الخصائص التربوية.

وفي العموم فان ابن عاشور ومن خلال تفسيره التحرير والتنوير يطمح إلى الوصول إلى بناء شخصية مسلمة متوازنة تعمل من أجل اليوم الآخرة وذلك من خلال عبادة الله حق العبادة، وفي الدنيا وذلك من خلال تعمير الكون والنجاح في مهمة الاستخلاف التي أوكلها الله له حين فضله بعقله عن بقية الكائنات الأخرى وكل ذلك يكون ضمن المقاصد التي جاء بها الشرع. وقد تنوعت الخصائص التربوية في القرآن الكريم لعل أبرزها هي:

1.2 الربانية:

من السمات التي اختصت بها الشريعة الإسلامية سمة الربانية. ونعني بالربانية أن أحكام الشريعة الإسلامية مصدرها إلهي، وأحكامها ليست من صنع البشر. ولهذا قال علماء اللغة العربية أن كلمة "الربانية" مصدرها الرب أي الله عز وجل. وإذا قلنا الربانية فالمقصود من ذلك نسبة إلى الرب سبحانه وتعالى.

ونسعي الانسان إذا كان قريبا من ربه، وعالما بدينه، وكتابه "إنسان رباني"، أي أنه عالما بالله سبحانه وتعالى، قال تعالى ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (ال عمران، 79)

وقد بين ابن عاشور في تفسيره أن القرآن الكريم رباني المصدر، حيث اعتبر أن الاعجاز باختلاف أنواعه الذي تضمنه القرآن دليل على ربانيته ومن هذه الأنواع نذكر:

1.1.2 الاعجاز الأسلوبي: الأسلوب الذي جاء به القرآن أسلوباً فريداً ومتناسقاً ومختلفاً مقارنة بكلام الكتب السماوية الأخرى ومقارنة حتى بالكلام العادي الذي يتكلمه الناس



يقول ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير وقد اشتمل القرآن على أنواع أساليب الكلام العربي، وابتكر أساليب لم يكونوا يعرفونها. وان في هذا الأسلوب حكمتين: الأولى لبيان أنه رباني المصدر ومن عند الله، والثانية أن يكون أسلوبه بمثابة التحدي للمشركين الذين كانوا يدعون أنه شعر. (ابن عاشور، 1984، ص115)

1.2.2 الاعجاز اللفظي والمعنوي: أشار ابن عاشور إلى قيمة هذين الاعجازين في اثبات ربانية القرآن الكريم يقول الاعجاز اللفظي علامة تدل على كون القرآن نزل من عند الله وقد تحدى به العرب لكي يأتوا بمثله وقد عجزوا على أن يأتوا بمثله، أما الاعجاز المعنوي فيظهر من خلال مدى تأثيره الروحي على الناس، حيث كل من يقرأه تنزل عليه السكينة والطمأنينة إضافة إلى أنه يدعو إلى الهدى والتقوى. (ابن عاشور، 1984، ص 458)

3.1.2 الاعجاز العلمي: يتضمن القرآن الكريم على العديد من الحقائق العلمية الثابتة وقد اكتشف العلماء البعض منها من خلال بحوثهم ودراساتهم لبعض الظواهر العلمية التي ذكرها القرآن، في حين مازالت بعض الحقائق العلمية التي ذكرها وتكلم عنها القرآن الكريم لكن لم يكتشفها العلماء بعد لأنها تحتاج إلى العلم بقواعدها ليتم فهمها يقول ابن عاشور ينقسم الاعجاز العلمي إلى قسمين، قسم يستطيع الانسان فهمه وقسم يحتاج إلى العلم بقواعد العلوم ليتم فهمه، وكلا القسمين دليل على ربانية القرآن. (ابن عاشور، 1984، ص128)

4.1.2 الاعجاز بأخبار الغيب: تضمن القرآن أخبارا غيبية، قد ذكر في كتب التفسير أن الاخبار بالغيب التي جاءت في القرآن الكريم دليل على صدقه، وأنها وجها من وجوه الاعجاز القرآني. وقد أخبر الله تعالى عن كثير من الوقائع والحوادث التي حدثت في الأمم السابقة مثل انتصار الروم بعد هزيمتها، ومنها حوادث ستقع في مستقبل الزمان مثل خروج الدابة والمسيح الدجال وكل ذلك دليل على صدق بكل ما جاء به. (ابن عاشور، 1984، ص 129)

فالشريعة الإسلامية جاءت معلومة المصدر وأحكامها ثابتة وغير قابلة للرد أو التعديل عكس النظريات التي وضعها البشر فهي القابلة للرد والتعديل. والغاية من ربانية الشريعة الإسلامية أن تجعل الإنسان موحدا، يعبد ربا واحدا لا شريك له ويعيش وفق القوانين الربانية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية. يعيش وفق أوامر ونواهي يستمد منها من القرآن الكريم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام. وعلى الإنسان أن يعلم أن حياته ومماته كلها لله

قال تعالى قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ (الأنعام، 162) وهناك قسمين من ربانية الشريعة الإسلامية: ربانية الغاية وربانية المصدر والمنهج: ربانية الغاية:

المقصود بربانية الغاية، هي الغاية التي جاءت من أجلها الشريعة الإسلامية. ومهمة الشريعة هي توجيه الإنسان حسب المنهج الذي يريده الله. فالإنسان ينبغي أن يعيش في إطار حدود الشريعة. ونعني بذلك أن يعمل المسلم ضمن خارطة الإسلام ويطبق كل الأوامر والنواهي التي جاء بها هذا الدين الحنيف. ومن ثمة تتحقق الغاية المنشودة وهي السير ضمن المنهج الإلهي الذي يريده الله للناس جميعا والذي أمرهم بإتباعه وهو الطريق المستقيم ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام، 153)

فالدين الإسلامي في جوهره قائم على التوجيه، هذا التوجيه يربط حياة المسلم مع ربه، فعلى سبيل المثال يربط ما بين الايمان والحب في الله، ويتحقق ذلك بإفشاء السلام يقول النبي عليه الصلاة والسلام في هذا السياق "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم" (البخاري، 2002) _ الدين الاسلامي يحرص على رعاية الوالدين ومراعات حقوقهم ومعاملتهم معاملة حسنة قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الاسراء، 23) _ الإسلام مبني على معنى الإحسان قال تعالى ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة، 195)

-الإسلام جاء يؤمر بتطبيق العدل ويأمر أيضا بأداء الأمانة إلى أهلها قال تعالى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ (النساء، 58)

_الإسلام مبني على مبدأ شكر الله على كل نعمه وقد أمرنا الاسلام بالمشي في مناكب الارض والأكل من طيباتها وذلك لتحقيق غاية شكر الانسان على النعم التي منحها الله إياه قال تعالى ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (سبا، 15) إن ربانية الشريعة لم تقتصر على هذه التوجيهات فقط، بل جاءت من أجل غايات أخرى.

• معرفة غاية الوجود الإنساني:

ذكر القرآن الكريم غاية وهدف وجود الإنسان في الحياة الدنيا وهي عبادة الله عز وجل قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات، 56) وقال تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب، 72)

تطرقت الآيتين إلى الغاية التي خلق من أجلها الإنسان. تتمثل الغاية الأولى في العبادة، وتأتي الصلاة في مقدمة هذه العبادات، ثم تأتي بقية العبادات الأخرى. وينبغي هذه العبادة ألا تقتصر على الصلاة والزكاة أو الحج فقط، بل إن معنى العبادة يشمل حتى المعاملات بين الإنسان وأخيه الإنسان.

أما الغاية الثانية، فهي مرتبطة بخلافة الله في الأرض، فقد اختار الله الإنسان على غيره من المخلوقات ليكون خليفته في الأرض، لذلك تم تكليفه -يعني الإنسان- بمسؤولية خلافة الكون واستغلال ثرواته وعمارته قال صل الله عليه وسلم إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها.

لكن تبقى الغاية الحقيقية من وجود الإنسان هي عبادة الله وتوحيده. وقد أرسل الله تعالى النبي الكريم إلى الناس لتعليمهم دين التوحيد ونشر الإسلام، ويخبر الناس بحقيقة هذا الدين وأن حياة الإنسان كلها لله ، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام، 156)

• الاهتمام إلى الفطرة:

الفطرة في اللغة: تعني البداية في الشيء، وتعني أيضاً الخلق، يقال يفطر الله الخلق أي بدأ خلقهم. وذهب بعضهم بالقول الفطرة هي السنة التي خلق عليها الرسول. وعرفها بعضهم فقال هي الحالة التي خلق الناس عليها.

عرفها ابن منظور فقال: "الفطرة هي بداية خلق الشيء. وعلى هذا الأساس فالفطرة تعني البداية في تكوين الشيء. قال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي خالق السماء والأرض، والفطرة هي "هي الحالة التي خلق عليها الناس". (ابن منظور، ص 197)

وقال ابن عاشور الفطرة: ما خلق عليه الإنسان ظاهرا وباطنا، أي جسما وفكرا. فسير الناس على قدمهم فطرة، ومحاولة الناس سيرهم على اليدين يخالف الفطرة التي خلق عليها. وعمل الناس باليد فطرة خلق الناس عليها، ومحاولة عمل الناس بأرجلهم ليس من الفطرة ومخالف لها. واستنتاج المسبب من سببه والنتيجة من مقدمتها من فطرة العقل. ومحاولة استخراج النتيجة دون سبب ليس من فطرة العقل. والأشياء التي نشاهدها بالعين المجردة تعتبر من الحقائق الثابتة وهي فطرة عقلية. (ابن عاشور، ص 36)

انطلاقا من تعريف ابن منظور وابن عاشور لمفهوم الفطرة، يمكننا تحديد مفهوم الفطرة "بأنها الحالة التي يخلق عليها الإنسان". وتوحيد الله والايان بوحداية من فطرة الإنسان المسلم، وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء حيث اعتبروا أن الإيمان من الأشياء التي يخلق عليها المسلم. وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن الفطرة هي الإيمان. فمن ثمرات هذه الربانية وفوائدها أن يهتدي الإنسان إلى فطرته وهو الإيمان قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُبِينٌ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الروم، 31)

فحياة الإنسان قائمة على الإيمان، إذ أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بلا إيمان. وإن فراغ الإنسان لا يملؤه لا فلسفة ولا ثقافة وإنما يملؤه الإيمان بالله. وعلى هذا الأساس جعل الله الإيمان من أهم أركان الإسلام. وهو من الأركان الستة التي لا يصح الإسلام إلا بها. فالإنسان يعيش بالإيمان، وحياته كلها قائمة عليه-أي على الإيمان-. وقد قال بعض الباحثين في تاريخ الأمم والأديان لقد بنيت مدن بلا قصور، وبنيت مدن بلا حصون، ولكن لم تبني مدن بلا معابد. والمقصود بالمعابد هي أماكن العبادة مثل المساجد التي تدل على إقامة الصلاة.

عموما الشريعة الإسلامية دائما ما توجه الإنسان إلى أفضل الأعمال التي تقربه من الله، وتسعى إلى تحرير الإنسان من الأنانية وحب الذات قال صل الله عليه وسلم لا يؤمن

أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" هكذا تحرر الشريعة الإسلامية الإنسان من الأنانية، كما أن هذا التوجيه الرباني يعلم الناس على أحسن الأخلاق مثل العدل والأمانة التي تساهم في بناء المجتمع، وإن المنهج الإسلامي في جوهره يرفض كل أشكال الأنانية.

ربانية المصدر والمنهج:

إن المنهج الذي بين أيدينا لم يخلقه البشر، ولم يخرج من طائفة معينة، أو من بلد معين، إنما هو منهجاً ربانياً خالصاً من الله قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر، 9) وقد حماه الله من أي تحريف قد يقع له كما وقع في بقية الكتب السماوية الأخرى قال تعالى ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت، 42) وبعد أن تكفل الله عز وجل بتزليته وحفظه من التغيير والتبديل أمر الرسول صل الله عليه وسلم أن ينقل إلى الناس هذا القرآن قال تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (النجم، 4)

وقد بين الله لبعض المشككين في مصدر القرآن الذين يقولون إنه من صنع البشر قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء، 82) وقد رد أيضاً على من زعم أن الرسول كان يتعلم القرآن من رجل أعجمي قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (النحل، 103) هذا هو المصدر الرباني، أصل المعرفة، وأصل حياة المسلم.

عموماً، هذا المنهج أنزله الله لينظم حياة الناس، وقد جاء شاملاً لكل جوانب حياة الإنسان، ولم يأتي هذا المنهج لتلبية إرادة فرد أو لتلبية إرادة أفراد، أو أسرة أو حزب، أو شعب، وإنما جاء بإرادة إلهية، أراد به الهدى والنور للناس قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ (النساء، 174) وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس، 57) فالإسلام لم يكن من صنع الإنسان، وإنما هو منهج رباني، والله هو صاحبه. ولهذا يضاف إليه فيقال "منهج الله" أو "صراط الله".

2.2. الشمول والتكامل:

خص الله التوراة باليهود دون غيرهم، وخص الإنجيل بالنصارى دون غيرهم من الناس، وقد خص الإسلام بالقرآن الكريم وهو أحب الكتب إلى الله لما فيه خيراً للناس. وقد ميزه عن بقية الكتب السماوية الأخرى، من بين هذه المميزات أنه جاء شاملاً ومتكاملاً. شاملاً أي أنه أرسله الله لكل الناس دون مراعاة فارق اللون أو الجنس. وهذا ما كان يسعى إليه ابن عاشور لتبليغه للناس حيث أكد أن القرآن شاملاً ويحتوي على كل كبيرة وصغيرة يحتاجها المسلم. وقد ذكر في المقدمة الرابعة في تفسيره حول شمولية القرآن فقال القرآن الكريم جامعاً لكل شيء وخال من النقائص وشاملاً لكل جوانب الحياة الدنيا والاخرة وتلك هي مقاصده الأصلية وهي تبليغ الانسان بما ينفعه في الدارين ويحصل ذلك بالأوامر والنواهي. (ابن عاشور، 1984، ص 133)

ويعتبر ابن عاشور أن شمولية القرآن فيه صلاح لأمر الناس كافة ورحمة لهم لتبليغهم مراد الله، فالهدف الأساسي منه اصلاح أحوال الناس الفردية والجماعية والعمرانية: فالصلاح الفردي ينبني على صلاح الاعتقاد وصلاح سريرة الانسان ويكون ذلك بالعبادات. اما الصلاح الجماعي فيكون بحسن تعامل الناس فيما بينهم، في حين يكون الإصلاح العمراني بالعمل على حفظ النظام العام للعالم الإسلامي ومراعاة المصالح العامة للناس وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الفردية. (ابن عاشور، 1984، ص 138)

فالقرآن الكريم ليس كغيره من الرسائل السماوية التي طالتها التحريفات والتغييرات، وانما حافظ على تركيبته الأصلية التي نزل بها وهي الكمال ومعنى ذلك أنه ليس بحاجة الى غيره ليثبت ما فيه فهو كامل متكامل في ذاته، وتشريعاته شاملة لكل جوانب الحياة، إلى جانب ذلك أن نصوصه اتسمت بالمرونة مما ساعد الناس على قبولها والتكيف معها.

فرسالة الدين الاسلامي صالحة لكل زمان ومكان، وصالح لكل وقت وحين، وقد أرسلها الله للبشرية جميعاً. فالإسلام لم يأت لطائفة معينة، بل جاء لعموم البشر، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ (سبأ، 28) كما قال تعالى ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ (الأعراف، 158)

ومن خصائص الإسلام أنه ينظم حياة المسلم، حيث إن شموله يعتبر موضوعي، وإنساني، وفطري، وزماني، ومكاني. موضوعياً؛ لأنه يفصل ما بين الدين والدنيا، وفطرياً؛ لأنه وفق ما

بين مطالب الروح والجسد، وإنسانياً؛ لأنه يخاطب البشرية جمعاء، وزمانياً؛ لأنه التشريع الخالد إلى يوم القيامة. (الدريبي، ص 263)

من ناحية أخرى وبفضل الإسلام تعلم الانسان كيفية التواصل مع أخيه الانسان في جميع علاقاته، ويتحكم في هذه العلاقات مبدأ الأخلاق التي تعتبر أساساً من أساسيات الدين الإسلامي والتي بني عليها في كل المجالات بكل أنواعها. فالإنسان مدني بطبعه كما قال ابن خلدون (ابن خلدون، 2004، ص122) فهو يحتاج إلى غيره لكي يستمر وجوده في هذا الكون وتستمر حياته. وتأتي كل هذه العلاقات في ضوء منهج تربوي ذكرها القرآن في سور عديدة.

فأما ما يتعلق بالعلاقة الزوجية مثلاً فالإسلام يأمرنا بالمعاشرة بالمعروف حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِلْ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كُرْهًا وَلَا تَغْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. (النساء، 19)

تحدث القرآن الكريم أيضاً حول علاقة الانسان بالوالدين، حيث أمرنا بالإحسان إليهم ورعايتهم أثناء شيخوختهم، قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ...﴾. (الأحقاف، 15)

3.2. الوسطية:

ان أعظم ما جاءت به الشريعة الإسلامية من خصائص هي خاصية الوسطية التي جعلت من الإسلام ديناً يتصف بالاعتدال في أحكامه الشرعية يقول ابن عاشور الوسطية والاعتدال أول أوصاف الشريعة.

ويعرف ابن عاشور في تفسيره الوسطية بقوله هي السهولة المحمودة فيما يظن الناس الشدید فيه، ومعنى كونها محمودة أنها لا تؤدي إلى ضرر أو فساد. فابن عاشور بين أن أحكام الشريعة الإسلامية مبنية على المراوحة بين التيسير والتعسير. ومعنى الوسطية يعني تطبيق الأحكام الشرعية وفق منهجين: منهج الحزم قال تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ ومنهج اليسر قال تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

وفي العموم فإن ابن عاشور قد سلك مسلكا وسطا في تفسيره لأحكام القرآن بحيث كان يراعي حالة المكلف، وكان موقفه في كثير من المسائل الشرعية موقف وسطيا وقد صرح بذلك في مقدمة تفسيره فقال أقدمت على هذه المهمة اقدام الشجاع على واد السباع، متوسطا بين أقوال المفسرين الذين تشددوا في الأحكام والمفسرين الذين تساهلوا في تفسير الأحكام وأن أبدي في تفسيري للقران رثيا لم يسبقني اليه أحدا وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين. (ابن عاشور، 1984، ص 8)

ولا شك أن دين الاسلام دين توسط واعتدال، لا افراط فيه ولا تفريط، ولا غلو فيه ولا جفاء، منهجه قائم على التوسط والاعتدال يقول الامام الشاطبي رحمه الله في كتابه الموافقات "الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الأخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه. وهو تكليف جار على موازنة تقتضي على جميع المكلفين غاية الاعتدال". (الشاطبي، ص 279)

والتوسط والاعتدال هو من سمات الشريعة الاسلامية قال تعالى مخاطبا المسلمين ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة، 134)

والشريعة الاسلامية قائمة على ثلاث مسائل في التوسط والاعتدال:

2.1.3. الوسطية في الاعتقاد:

الوسطية في الايمان سمة من سمات العقيدة الاسلامية، فهي متوسطة بين افراط النصارى وتفريط اليهود. فاليهود أقروا بموسى وأنكروا نبوة عيسى، أما النصارى فقد أقروا بموسى وعيسى وكذبوا بمحمد صل الله عليه وسلم وجحدوا نبوته. أما النبي صل الله عليه وسلم وأتباعه المؤمنون يقرون بجميع الرسل ويؤمنون بهم، ويؤمنون بجميع الكتب والرسل كما أخبر الله عنهم في كتابه العزيز ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة، 285) وقد بين أيضا النبي صل الله عليه وسلم أركان الايمان فقال " ان تؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره". (مسلم، ص 37)

2.3.2. الوسطية في العبادات:



بين الله في كتابه الحكيم كيفية الموازنة بين أمور الدنيا وأمور الآخرة، مع تقديم أمور الآخرة على أمور الدنيا ويظهر في الآية ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص، 77) وتتضح مسألة الوسطية في العبادات من خلال قوله تعالى في سورة الجمعة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة، 10) في هذه الآية توضيح لحياة المسلم مع الدين والحياة بحيث يكون بيع وطلب للرزق قبل الصلاة، وترك البيع والسير إلى الصلاة وذكر الله اثناء وقت العبادة

3.3.2. الوسطية في المعاملات:

لم تقتصر الشريعة الإسلامية على مسألة الوسطية في العبادات فقط، وانما وضعت الوسطية في المعاملات حتى يتم التسهيل على الناس في كثير من المسائل التي يتعاملون فيها مع بعضهم. هذه المعاملات سواء كانت مالية أو من المعاملات الأخرى. وسنأخذ بعض الأحكام الأسرية لبيان وسطية الشريعة في المعاملات مثل "الوسطية في التعامل مع الحائض" فقد جاء حكم الشريعة الإسلامية في هذه المسألة حكماً وسطياً في مسألة التعامل مع الحائض حيث بينت عدم الإفراط في التعامل معها مثل ما فعل اليهود الذين يحرمون السكن معها، كما أمرت أيضاً بعدم التفريط في التعامل معها مثل النصارى الذين يبيحون مجامعتها. وعلى إثر هذا نزلت الآية الكريمة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ...﴾ (البقرة، 222)

ولما بلغ الرسول ما يفعله اليهود والنصارى في تعاملهم مع المرأة الحائض قال صل الله عليه وسلم " اصنعوا كل شيء الا النكاح " (مسلم، 246) اي يمكن للرجل ان يأكل مع زوجته وينام معها في فترة الحيض.

وقال القرطبي رحمه الله قال علماءنا "كانت اليهود تجتنب الحائض وكان النصارى يجامعونها حتى امر الله بالقصد بين الامرين" (القرطبي، ص 81)، والقصد هو التوسط بين الامرين يعني لا افراط ولا تفريط.

4.2. التدرج:



التدرج في القيام بالشيء أمر مطلوب ومستحب في كل الأمور، لأن فيه تسهيل ويكون الوصول إلى النتيجة عن طريقه أسهل. لذلك اقتضت حكمة الله أن يكون نزول أحكام الشريعة بالتدرج وعلى فترات التي دامت ثلاث وعشرين سنة حتى يتمكن الناس من تقبل أحكامها وتطبيقها كما أرادها الله أن تطبق.

وان المتأمل والدارس للسيرة النبوية وتاريخ الدين الإسلامي لوجده أنه قائم على صفة التدرج. ففي مسألة دعوة النبي الناس إلى الإسلام بدأت بالتدرج سرا حيث بدأ دعوته بالأقربون فبدأ بالسيدة عائشة ثم أبا بكر الأقرب إليه في الصحبة، ثم بعد ذلك صارت جهرية لتخرج لعموم الناس، القرآن بدوره كان يتزل منجما ومتفرقا على النبي وهكذا كان يتدرج في تبليغه إلى الناس وهكذا سار الأمر في كل أمور الإسلام.

1.4.2. تعريف التدرج:

أ- لغة: التدرج "من درج وهو أصل يدل على تقدم الشيء والتقدم في الشيء" (ابن فارس، 1979، ص 291) يقال "درج الصبي والشيخ أي تقدم" (الاصفهانى، ص 167). والتدرج يعني أخذ الشيء قليلا قليلا، ومنه قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف، 182)

ب- اصطلاحاً: التدرج في مفهومه العام "هو الانتقال من مرحلة إلى مرحلة متقدمة لبلوغ الغاية المنشودة بطرق مشروعة" (أبو هلاله، ص 36) أما التدرج في مفهومه التشريعي فقد عرفه العلماء "هو نزول الأحكام الشرعية على المسلمين شيئاً فشيئاً طوال فترة البعثة النبوية". (الزحيلي، ص 28)

فلولاه ما اكتمل الدين ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة، 3) ولولاه ما تقبل الناس الأحكام الشرعية التي نزلت عليهم. فعن طريقه بلغ الرسول رسالته، وبه اقتنع الناس بكل أحكام الإسلام التي قبلوها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت هذه الأحكام بالنسبة للناس من أساسيات الإسلام، ولا يمكن المساس بها أو التعدي عليها.

2.4.2. الحكمة من التدرج:

لم يكن فعل التدرج أمر اعتباري في الإسلام بقدر ما هو أمر مطلوب فهو يعتبر أساس من أساسيات الدعوة الإسلامية التي قامت عليه. وإن في وجوده حكمة تكلم عنها العلماء وتتضح بأكثر دقة من خلال بعض الآيات، ولعل أبرز هذه الحكم نذكر:

أ-التسهيل على الناس: الاسلام في جوهره دين يسر وليس دين عسر. والتدرج سمة من سمات اليسر التي جاء بها الإسلام وهذه الحكمة منه هي رفع المشقة والتسهيل على المكلف قال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَةً﴾ (البقرة، 186) والتدرج جاء من أجل التسهيل على الناس بأن يتخلوا على بعض الأمور القبيحة التي كانوا يقومون بها قبل الإسلام وتوعيدهم على الأمور السمحاء التي أقرها الإسلام ففي تحريمه للخمر يقول "القفال رحمه الله" في التدرج في تحريم الخمر مبينا دور التيسير في ذلك " والحكمة من تحريم الخمر بهذا التدرج أن القوم ألفوا شرب الخمر وأصبح من عاداتهم فلو تم منعهم مباشرة بصفة نهائية لشق عليهم ولن يمتنعوا، فحرمه تدريجيا من أجل إقناعهم بحرمته، على ذلك استعمل معهم هذا التدرج والرفق" (الرازي، 1981، ص 36)

ب- مراعاة مصالح العباد وأحوالهم: إن مصلحة الناس تقتضي على الشرع أن تكليفه إياهم يكون خفيف ويراعي مصالحهم من هذا التكليف. فكلما جاء تشريع يتدرج بهم، ويمهد للتكليف الخفيف بتكليف أخف منه لأن الناس " لو بوغتوا بالتشريع الثقيل من أول مرة لنفروا، ويمكن أن يتركوا الإسلام وتصبح هدايتهم من الأمور الصعبة" (الزرقاني، ص 172) فعلى هذا الأساس فالتدرج يعتبر عاملا مهما في هداية الناس في الدنيا والاخرة، وإن في عدم تطبيقه تعطيل لهداية الناس ويجعل اضطراب في حياتهم فينفروا من الشريعة.

ج-تهيئة النفوس لقبول أحكام الشريعة: يساعد التدرج الناس على قبول أحكام الشريعة، وإن نزول أحكام الشريعة شيئا فشيئا فيه حكمة ألا وهي تهيئة النفوس البشرية على تقبل الأحكام الشرعية. فلو نزلت مرة واحدة لكانت ثقيلة على الناس وما تقبلها لكثرتها. فالله عز وجل يراعي نفوس الناس ويعلم مدى عظمة هذا الدين فكان من حكمته أن ينزل أحكامه حكما حكما حتى تهيأ النفوس لقبول تلك الأحكام تقول السيدة عائشة في هذا السياق "إن أول ما نزل من القرآن كان فيه ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الاسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنا لقالوا لا ندع الزنا أبدا" (البخاري)، وهذا إشارة منها -أي من السيدة عائشة

رضي الله- عنها أن نزول أحكام القرآن متفرقة فيه تهيئة للنفوس لتقبل هذه الاحكام. ويقول الامام الشاطبي توضيحا لذلك حيث قال " إن في نزول أحكام الشريعة حكما حكما وجزئية جزئية فيه استئناس، وتعود للناس على الأحكام، حتى يصبح عندهم عادة ويستأنس به الناس أي يتقبله المكلف ويفهمه. أما إذا نزلت عليه الأحكام جملة واحدة فتشق عليهم الاحكام" (الشاطبي، ص 149) ثم إن في التدرج في نزول الاحكام فيه إغراء وترغيب للناس إلى الدخول في الاسلام وفهمه شيئا فشيئا.

3.4.2. أمثلة تطبيقية من التدرج:

-الصيام: والصيام أيضا لم يفرض دفعة واحدة، وإنما على التدرج يقول ابن القيم رحمه الله " ولما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها تأخر فرضه – أي الصوم – إلى وسط الاسلام بعد الهجرة، فلما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة وألفت أوامر القرآن تم بعدها فرض الصيام." (ابن القيم، ص 26)

-الخمر: كان الخمر من أكثر الأمور التي يقبلون الناس على شرها قبل الإسلام، حيث كانت جزء كبير من حياتهم، بل حتى في محافل الزواج وغيرها من الأمور الأخرى فقد كانت أهم مشروب عندهم. بل ان بعضهم من الشعراء وصل بهم الأمر إلى التغني بها بالشعر. لذلك كان تركها في فترة الإسلام أمر صعب وشبه مستحيل بالنسبة لهم وهنا يأتي دور التدرج الذي يساعدهم على تركها. وبالفعل فقد بدأ تحريمها تدريجيا وعلى أربعة مراحل. فقد ذمه في الأول بأنه ليس من الرزق الحسن، بقوله تعالى ﴿وَمَنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل، 67) ثم بعد ذلك مرحلة تنفير الناس من الخمر ومحاولة إبعاد الناس عنها بقوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة، 219) ثم بعد ذلك مرحلة التحريم الجزئي بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء، 43) ثم نزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة، 91) فبعد نزول هذه الآية حرمت كليا وصارت من المحرمات.

-الربا: كثير من الناس اليوم يلجؤون إلى الربا بحجة قلة الحيلة وعدم توفر الإمكانيات المادية لتحقيق رغباتهم. بل انه أصبح جزء من اقتصاد العالم وأغلبية الناس يقتنون أشياءهم الثمينة والباهظة عن طريق الربا مع أنه حرام وكثير من الآيات القرآنية تدل على ذلك، ناهيك عن اجماع الأئمة الأربعة عن تحريمهم له تحريماً قطعياً.

والربا في اللغة يعني "الزيادة في الشيء" (الساعاتي، ص 43) وأما في الشرع فقد عرفه الفقهاء بأنه "كل ما يزداد على أصل البيع، أو الدين من مال دون حق، أو ما يزداد بعد مدة معينة من الوقت بلا مقابل". (الساعاتي، ص 43)

وكما تم تحريم الخمر تدريجياً وعلى مراحل، فقد تم أيضاً تحريم الربا بالتدرج على أربعة مراحل. ففي الأولى قال تعالى ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَوَاءً مَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (الروم، 39) قال الطبري هذه الآية مكية، وفيها إشارة إلى ذم الربا، وأنه لا ثواب فيه". (الطبري، ص 103)

وفي المرحلة الثانية، جاء تحريمه تلميحياً وليس تصريحياً قال تعالى ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء، 161) وفي المرحلة الثالثة، تم تحريمه جزئياً بالنهي عن الربا الفاحش الذي يتزايد اضعافاً مضاعفة ويأتي هذا التحريم الجزئي من خلال قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ (ال عمران، 130)

وفي الرابعة حسم أمره بتحريمه، ونهى كل معاملة تؤدي إليه وذلك من خلال قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة، 279)

4. النتائج والتوصيات:

يعتبر القرآن الكريم أفضل الكتب السماوية، وهو الكتاب الوحيد النافع للأمة الإسلامية، ويمثل موضوع التربية الذي تضمنه أبرز ما ينفع المجتمع المسلم على مستوى

الفرد والجماعة. وتشمل التربية القرآنية الفرد في حياته الدنيوية، وحياته الآخورية، كما تشمل الإنسان بكيانه الجسدي والروحي.

في الخاتمة توصلت هذه الدراسة إلى بعض النتائج والتوصيات، وهي كالآتي:

1. أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد النافع للأمة وهو يحتوي على خصائص تربوية مهمة من شأنها أن تنفع الأمة الإسلامية، وهي صالحة لكل زمان ومكان.
2. يحتم علينا كباحثين في مجال العلوم الشرعية العودة إلى القرآن الكريم للاستفادة من مواضيعه التربوية والاستفادة من تفاسير علماء التفسير عامة، وتفسير ابن عاشور خاصة.

3. ضرورة التركيز على مواضيع التفسير التربوي فهي لا تقل أهمية عن التفاسير الأخرى.

التوصيات:

1. زيادة الاهتمام بموضوع التربية في القرآن الكريم عامة وفي تفسير ابن عاشور خاصة.
- 2.حث طلبة العلم بمزيد الاهتمام بمواضيع التربية باعتبارها السبب في ازدهار الأمم وحضارتها وهي الطريق لتهديب النفس. فهي اول ما يبدأ بها حين نريد تكوين جيلا متماسكا في المجتمع.
3. الاهتمام بموضوع التربية باعتباره من الأمور المهمة في حياة المسلمين؛ لأنها أمة ذات عقيدة ومبادئ، فينبغي أن تكون هذه التربية خاضعة لهذه العقائد والمبادئ، وكلّ تربية لا تحمل الرسالة، ولا تصل بالمرء إلى العقيدة الصحيحة، لا تُعدّ تربية إسلامية مُحكّمة.

5. قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم

1. البخاري. (2002). صحيح البخاري، دمشق بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الأولى.
2. مسلم. (2006). الرياض: دار طيبة، الطبعة الأولى.
3. ابن منظور. (2009). لسان العرب، بيروت: دار الكتب العلمية للنشر.
4. ابن فارس. (1979). مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
5. الطاهر ابن عاشور. (1984). التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر.

6. الطاهر بن عاشور. (2010). أليس الصبح بقريب، حلب: دار الملتقى، الطبعة الأولى.
7. الطاهر ابن عاشور. (2012). أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للنشر والتوزيع.
8. عبد الرحمان ابن خلدون. (2004). مقدمة ابن خلدون، دار الأرقم للنشر.
9. فتحي الدريني. (2013). خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر.
10. الامام الشاطبي. (2007). كتاب الموافقات، دار ابن عفان للنشر.
11. الإمام القرطبي. (2006). الجامع لأحكام القرآن، بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر.
12. الراغب الاصفهاني. (1992). المفردات في غريب القرآن، بيروت: دار المعرفة.
13. ابو هلاله. (2006). التدرج بين التشريع والدعوة، دار العاصمة للنشر والتوزيع.
14. قاسم. (2000). الدليل إلى المتون العلمية، السعودية: دار الصميعي للنشر والتوزيع.
15. محمد مصطفى الزحيلي، التدرج في التشريع والتطبيق في الشريعة الإسلامية، إدارة البحوث والدراسات، 2008.
16. الرازي محمد بن عمر، مفاتيح الغيب. (1981). دار الفكر للنشر والتوزيع.
17. الزرقاني، محمد. (1943). مناهل العرفان، دار ابن عفان للنشر والتوزيع.
18. الامام الشاطبي. (1997). كتاب الموافقات، دار ابن عفان للنشر.
19. ابن القيم. (2015). زاد المعاد، دار ابن حزم للنشر الطبري.
20. الطبري. (2004). جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية للنشر بيروت.
21. عبد الرحيم عبد الحميد الساعاتي. (2017). العلة الاقتصادية لتحريم ربا النسينة والفضل، مقالة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز قسم الاقتصاد الإسلامي.